www.almaktabah.net
منتديات مكتبتنا العربية

تاريخ المسلمين

في شبه القارة الهندية وحضارتهم

الجزء الأول

تأليف
الدكتور
احمد محمود الساداتي

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت ٣٩٠٠٨٦٨

تاريخ المسلمين

في شبه القارة الهندية وحضارتهم

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين .

شبه القارة الهندية التى تضم اليوم دولتى پاكستان الإسلامية والهند الهندوكية [1] بدأ أظهر أدوارها التاريخية — على إجماع من المؤرخين — بالفتوحات الإسلامية ، وأخصها تلك التى توغل فيها الغزنويون ، ومن جاء من بعدهم ، بهذه البلاد منذ أواخر القرن الرابع الهجرى ، وصحبهم فيها جملة من العلماء والمؤرخين والرحالة المسلمين الذين درسوا أحوال الهند وكشفوا عما كان بها من حضارات ومدنيات عريقة تقصوا أسسها وتفصيلاتها .

وتاريخ شبه القارة الهندية القديم ، فيما قبل فتوح المسلمين ، غالبيته الغالبة عموما يكتنفها الغموض الشديد . ولولا القليل منه

١ — لفظ هندوكى أو هندوسى — وهو معرب — غدا عند كتاب العربية المحدثين علما على أصحاب العقائد الهندية القديمة من سكان شبه القارة الهندية ، وهو ماذهبنا إليه فى هذا الكتاب .

الذى استشفّه المؤرخون من الكتب الهندية الدينية القديمة ، مثل الويدا والمهابهارتا ، ومن أكداس أساطير الهنود القدماء ، وماوصل إلينا من تدوينات جوّابى هذه البلاد فى الأزمنة الغابرة من أمثال السفير الإغريقى ميغاستين والراهبين الصينيين البوذيّين هيون تسيانغ وفاهيان، لظل ماضى هذه البلاد مجهولا إلى درجة كبيرة. ذلك أن آثارها وعادياتها القديمة، التى أكتُشفت حتى اليوم، لا تُعد فى الغالب ثبتا وثيقا مفصلا لماضيها على نطاق واسع نظير ماعند مصر واليونان.

والمسلمون الذين أسهموا فى حفظ تراث اليونان وزادوا عليه، هم أنفسهم الذين أظهروا العالم على الكثير من تراث الهند الذى اطلعوا عليه ، فجر الاسلام ومطلع ضحاه ، فحبب إليهم الاستزادة بما عند غيرهم من مختلف فنون المعرفة(١) ودفعهم إلى طلبها .

صنع المسلمون ذلك ولم يكن قد مضى عليهم بالهند أكثر من قرن واحد من الزمان ، ولم يكونوا يملكون من أراضيها إلا

---

١ — Havell, E. B. The History of Aryan Rule in India London n.d. p. 254-56 .

هذا ونتبه هنا الى أن تراث الهند كان بدوره قد تأثر بالثقافة اليونانية التى حملها الاسكندر المقدوني إلى هذه البلاد حين غزاها فأقام بعض قواده دويلات إغريقية بأطرافها .

ولاية واحدة صغيرة ، بالقياس إلى مساحة الإقليم الشاسعة ، هى السند التى كانوا قد دخلوها أواخر القرن الأول الهجرى .

أوغل المسلمون ابتداء من أواخر القرن الرابع الهجرى فى هذه البلاد ، فإذا بعلمائهم يقفون على ما عند الهنود من فنون المعرفة الكثيرة ، على نطاق واسع ، من أفواه المشتغلين بها من رجالهم بعد ما كانوا قد اطلعوا على قدر منها فى بطون كتبهم ، ويتعرفون على أحوالهم وعقائدهم بمخالطتهم ومسائلة كهنتهم ورُهبانهم ومناظرة فلاسفتهم . وكان إمام هؤلاء العلماء الأعلام جميعا العلامة أبو الريحان البيرونى العارف بلغات الهند . وفيما تركه من كتب قيمة عن هذه البلاد ثبت لذلك كله .

واستقر الفاتحون بعد قليل بالبلاد التى فتحوها ، فحُفظت بذلك أموال الهند وثرواتها عليها بعد أن كان الغزاة يحملون معهم الكثير منها إلى بلادهم .

واستعصى المسلمون على البوتقة الهندية التى انصهر فيها السيث والهون وكل الغزاة الذين دخلوا الهند من قبل . ليس هذا فحسب ، بل إن هؤلاء على قلة عددهم مالبثت عقيدتهم السمحة

الفتية ـ بمبادئها الإنسانية الرفيعة ونظمها الاجتماعية القائمة على المساواة التامة بين معتنقيها ، والتى لا تعترف بنظام الطبقات ـ أن طفقت تجتذب إلى صفوفها ألوفا وألوفا من الهنود فى أزدياد متدرج ، فهم اليوم بشبه القارة هذه يزيد عددهم على مائه المليون .

وما لبثت لغتهم وفنونهم أن صارت إلى لغات المسلمين وفنونهم فى الغالب[1] . ذلك أن الفاتحين كفلوا ، بقوة عقيدتهم ومدنيتهم ، دخول شعوب البلاد التى فتحوها فى ملتهم ، دون إرهاق أو عنت ، والإقبال على حضارتهم ، بل والعمل على ازدهارها فى همة وعناية ، على ما قال به المؤرخون المنصفون من غير المسلمين وفيهم الهنادكة .

والمسلمون بُناة حضارات أينما حلوا ونزلوا . وفى طبيعة الإسلام أنه يدفع دائما بعجلة الحضارة والمدنية إلى السير من جديد فى كل بلد يدخله . وأصحابه حين توغلوا بالهند ، ومعهم حضارتهم ، التى كانت قد بلغت خارج هذه البلاد درجة عالية من الرقى ، لم يهملوا أمر حضارة الهند وثقافتها ، بل شغلوا بها وانهمك علماؤهم فى كل العصور فى النقل منها ، حتى ترجموا أقساما من المهابهارتا نفسها سفر الهنادكة المقدس . وكان من بين السلاطين المسلمين

---

١ ـ اللغة الأوردوية ، أوسع لغات شبه القارة الهندية انتشارا اليوم ، هى من مشتقات لغات المسلمين ، وتكتب بالحروف العربية .

من حض الهنادكة أنفسهم على الاشتغال بتراثهم القديم والكشف عن ماضى بلادهم ، وبذل لهم فى ذلك العون والمساعدة .

ولا تجد حتى عند أشد المؤرخين الهنادكة كراهية للحكم الإسلامى إشارة واحدة إلى إحراق المسلمين لكتب الهنادكة وأسفارهم أو إتلافها .

ولئن كان المسلمون قد هدموا جملة من المعابد الهندوكية وحطموا ما بها من أصنام ، قضاء على الشرك والوثنية ، ـ ولم يكن ذلك يحدث عادة إلا إبان الحروب وفى المدن الكبرى ليس غير ـ فإنهم لم يرغموا أحداً من الهنادكة فى الغالب على اعتناق ملتهم ، فمن دخل فيها منهم كان ذلك دون إكراه أو عنت ؛ فمارس الهنادكة ، الذين بقوا على دينهم ، طقوسهم الدينية فى حرية تامة ، ولم يُمنعوا حتى من إقامة معابد جديدة لهم إلا فى أحوال قليلة . هذا كما أضطلع جملة منهم بوظائف الدولة ، وتولوا إدارة شئون البلاد عموما إلا فى العواصم والمدن الكبري . وبلغ كثيرون ممن أسلموا منهم مناصب القيادة والوزارة .

وما عاناه عامة الهنادكة من بؤس وشقاء ، فى بعض العهود ، قد شاركهم فيه عامة المسلمين فى الغالب كذلك ، حيث يتسم العصر

الوسيط بوجود هوات سحيقة فى الثراء ورغد العيش تفصل بين أرباب الدولة والتجار والعامة .

وهاهو ذا المؤرخ الهندوكى المعاصر إشوارى براساد يقرر صراحة بأن الحكم الاسلامى فى شبه القارة الهندية كان فيه الكثير من الخير ، ويرُدما يسمو به المجتمع فى هذه البلاد اليوم من الخصال الحميدة ومايروج فيه من رسوم وعادات راقية إلى تقاليد هؤلاء الفاتحين [1] ونفوذ الإسلام فى جميع نواحى الحياة الاجتماعية بها، ذلك النفوذ الذى يظهر أثره جليا فى تعاليم كبار المصلحين الدينيين الهنادكة أنفسهم من أمثال كبير و نانك الزعيمين السكيين المشهورين.

والمسلمون هم الذين وحدوا الهندستان فى دولة واحدة بعد أن كانت فى الغالب نهبا لملوك طوائف متقاتلين فيما بينهم على الدوام — وليس بخاف أن الخضوع لقانون واحد هو الركن الأساسى الذى يقوم عليه المجتمع — ونهضوا من بعد ذلك بهذه البلاد نهضة رائعة ظهرت آيات الإبداع الواضح فيها فيما خلفوه من آثار علمية وفنية وأدبية ومنشآت وعمائر عديدة فخمة نافعة .

والإسلام كان بالهند ، وغير الهند من البلاد التى فتحها المسلمون ،

---

١ — Prasad. Med. India. pp xxxvi.

دينا وحكما ومدنية ، دخل فى حياة الناس العامة والخاصة. وأدى توحيده بين شتى عناصر معتنقيه وعروقهم وحدبه على التآلف بين أفكار الأجناس والشعوب التى تدين به إلى أن تولد فى نفوس أبناء هذه الشعوب ميول واحدة ظهرت واضحة قوية أكيدة فى مناسبات متعددة ، وكان أعظم مظاهرها تساندها جميعا فى مواجهة الاستعمار الأوروبى فى قوة وعزم يبشران بقرب استرداد العالم الإسلامى لسابق مجده وعزته .

القاهرة — ضاحية المعادى
صفر ١٣٧٧
سبتمبر ١٩٥٧

أحمد السادات

موضوعات الكتاب

الهنـــد القديمة : ٣
جغرافية الهند ـ سكان الهند ـ معتقدات الهند ـ
لغات الهند ـ تاريخ الهند القديمة وحضارتها .
الفتوحات الاسلامية فى شبه القارة الهندية : ٥٣
فتوح العرب بالسند :
معـــرفة العرب بالهند قبل الاســـلام ـ
محمـــد بن القاسم وفتحـــه للسند ـ يزيد بن
أبى كبشـــة ـ حبيب بن المهلب ـ عمرو بن مسلم
الباهلى ـ جنيد بن عبد الرحمن ـ الحكم بن عوانة ـ
عمرو بن محمد بن القاسم ـ يزيد بن غرار ـ منصور
ابن جمهور الكلبى ـ عبد الرحمن بن أبى مسلم العبدى ـ
موسى ابن كعب ـ عمر بن حفص ـ عبد الله بن محمد
الأشتر العلوى ـ هشام بن عمرو التغلبى ـ الليث
ابن ظريف ـ داود بن يزيد ـ بشر بن داود ـ
موسى بن يحى البرمكى ـ عمران بن موسى ـ عمر
ابن عبدالعزيز الهبارى ـ نتائج الفتح العربى للسند.

الغزنويون وخلفاؤهم : ٨١
سبكتكين - محمود الغزنوى - مسعود -
السلاجقة - محمد الغزنوى - مودود ومجدود -
إبراهيم بن مسعود - علاء الدين وسنجر - بهرام
والغوريون - التركمان - خسرو بن بهرام -
غياث الدين بن سام الغورى - بهرام شاه الثانى
الغوريون : ١١٢
معز الدين محمد بن سام الغورى وقواده .
دولة المماليك : ١٢٣
قطب الدين أيبك - شمس الدين ألتمش -
جلال الدين شاه خوارزم - ركن الدين
فيروز شاه - الملكة رضية - بهرام شاه - علاء الدين
مسعود شاه - ناصر الدين محمود شاه - آل بلبن :
غياث الدين بلبن - محمد وبغراخان - طغرل - كيقباذ.
الخلجيون : ١٤٨
جلال الدين فيروز شاه - علاء الدين ونظمه -
كافور - قطب الدين مبارك شاه - خسرو شاه .
آل تغلق : ١٦٩

غياث الدين تغلق - محمد تغلق وخططه .
فيروز تغلق وإصلاحاته - غياث الدين تغلق
الثانى - أبوبكر ومحمد تغلق - محمود تغلق - ملوك
الشرق - نصرت شاه - ملو إقبال خان -
سارنك خان - الغزو التيمورى وآثاره .

ملوك الطوائف : ٢٠٩

الكجرات - مالوه خاندش - جونپور -
البنغال - الدكن - سلطنة بهمنى : برار - بيجاپور -
أحمد نكر - غولكونده - بدر (بيدار) -
قيايانكر - أسرة السادات بدهلى .

اللودهيون الأفغان : ٢٣٥

بهلول لودهى - سكندر شاه - إبراهيم لودهى -
دولت خان لودهى - علاء الدين علم خان -
پانى پت .

الدولة الإسلامية فى شبه القارة الهندية : ٢٥٠